## صدور كتابين جديدين للدكتور صالح ياسر

عن "**بيت الكتاب السومري**" في بغداد صدر اخيرا **كتابان جديدان** للباحث العراقي الدكتور **صالح ياسر**.

ظهر الكتاب الاول تحت عنوان :

**الدولة، السلطة، الطبقات الاجتماعية**

**مقدمات منهجية - إ شارة خاصة للعراق**

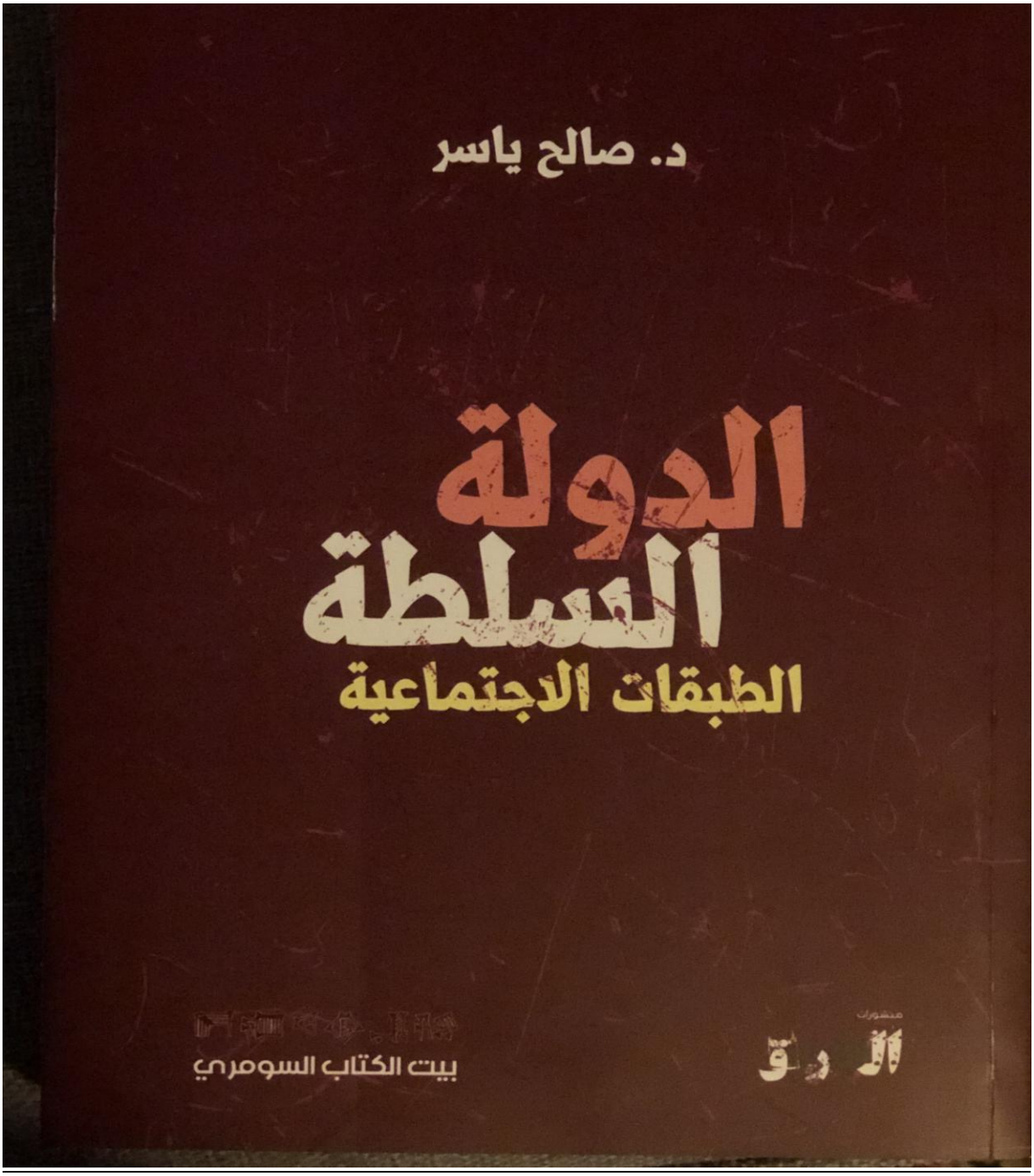

يحتوي الكتاب اعلا ه على **440** صفحة من الحجم الكبير.

من المعروف ان العقود الاخيرة شهدت " تحولات عميقة " في البنية الاجتماعية والطبقية لكثير من البلدان، وتزايد الوزن النوعي للعديد من الفئات والشرائح وتعاظم دورها "الفعال" في تحديد اتجاهات " التطور "، بعد أن ظلت لفترة طويلة على "هامش التاريخ". كما ظهرت على "المسرح" فئات وشرائح جديدة بدأت تلعب دورا نشيطا في مختلف مستويات التشكيلات الاجتماعية، ولكن برغم هذا الدور و تعاظمه فإنها ما زالت بدون تحديد دقيق، على المستوى المنهجي. ويبدو كما تشير التجربة، أن هناك فجوة بين الواقع الملموس لهذه الفئات والشرائح وبين رؤية الفكر النظري لها، الذي ما زال، على ما يبدو غير قادر على توصيفها بدقة وتحديد "هويتها". ولهذا نرى إن أحد "ثغرات" هذه **الفجوة بين الواقع وفكر الواقع** تمثلت بظهور العديد من المصطلحات والمفاهيم و "المقولات"، كلها تريد أو تحاول أن تعبّر عن هذه الظواهر مفهوميا.

بالمقابل فانه وعلى بالرغم من "السيل الهائل" من الدراسات التي ظهرت، فاننا مازلنا لحد اللحظة، مع استثناءات ليست كثيرة، على دراية بواقع هذه المجتمعات هي أقرب الى "المعرفة العادية" منها الى المعرفة العلمية، في أحيان عديدة، ناهيك عن اختلاط المفاهيم واضطرابها. ومن هنا تتأتى ضرورة التأمل في واقعنا، رؤيته كما هو، وليس تفصيله وفقا لمقاسات مخططة في الذهن، غير قابلة للنقاش، تبدو وكأنها كلية القدرة.

وبالعودة الى موضوع هذه الدراسة الموسومة: " **الدولة، السلطة، الطبقات الاجتماعية – مقدمات منهجية- إشارة خاصة للعراق"** فينبغي التأكيد على انه موضوع واسع النطاق ومتعدد الأبعاد ومتشابك، هذا إضافة الى انه يعد واحدا من أهم المواضيع التي كَثُر حولها الجدل و تفاوتت بشأنها الآراء والمقاربات، وكانت ولا تزال وستبقى نيرانها الفكرية والسياسية والإستراتيجية مشتعلة، ويبدو ان أوارها لن يهدأ قريبا. فالقضية الاساسية في صراع الطبقات والقوى التي تعبر عنها هي قضية السلطة والاستحواذ عليها وتوظيف الدولة وأجهزتها المختلفة لتحقيق اهداف هذه الطبقة (او الائتلاف الطبقي) أو تلك.

وانطلاقا من الملاحظات اعلاه يمكن القول ان الدراسة المنهاجية المنتظمة للإشكاليات الثلاث، التي تضمنها عنوان الدراسة (**الدولة، السلطة، الطبقات الاجتماعية**)، تأتي في موعدها الملائم، فلم تعد هذه الموضوعات ومعالجتها منهجيا ترفا نظريا بقدر ما هو تعبير عن الحاجة الى تأصيل منهجي ونظري لقضايا واشكاليات عملية تواجه الكثير من "البلدان النامية" ومنها العراق. ففي بلادنا مثلا يأتي هذا الاهتمام ارتباطا بالتحولات المتسارعة في البنية الطبقية/الاجتماعية للمجتمع والقاعدة الاجتماعية للحكم والتمايزات التي شهدتها والاستقطابات التي حصلت وأدت الى بروز لوحة جديدة من الاستقطاب الاجتماعي والسياسي، وما يرافقها من اشكاليات تطرح تحديات منهجية ونظرية وسياسية عملية.

ولذا فإن الدراسة تتمحور بالأساس التعرف على جذور ما جرى من تحولات واصطفافات مجتمعية مختلفة تمثلت بصعود عاصف لفئات وشرائح مختلفة الى قمة الهرم الطبقي/الاجتماعي، كالبيروقراطية والطفيلية والكومبرادور في هذه البلدان ، وما ترتب على ذلك من آثار من بينها إعادة النظر في العديد من "ثوابت" التفكير" بشأن السلطة والدولة والطبقات الاجتماعية.

قد تبدو المسائل المثارة في هذه الدراسة من السعة والتعقيد بحيث قد تظهر للبعض وكأنها "جزر متناثرة" غير مترابطة ظاهرياً، ولكن نعول على نباهة القارئ في اكتشاف الخيوط الخفية أو "غير الواضحة" أو "الملتبسة" وستساعده في إجراء تركيب يسمح له، في النهاية، باكتشاف وفهم جوهر العلاقات الجدلية بين المقولات الثلاث: **الطبقات الاجتماعية والسلطة والدولة**، حتى وان حاولت الطبقات المهيمنة استخدام مختلف وسائل التعتيم الإيديولوجي للتضبيب على جوهر تلك العلاقات الناشئة بين تلك المقولات وتجلياتها الملموسة في حركة الواقع وما يقف ورائها من مصالح فعلية.

وفي المجتمعات التي يسود فيها الاقتصاد متعدد الأنماط وتعيش حراكا اجتماعيا متسارعا، يلاحظ أن بنيتها (الاجتماعية - الاقتصادية) تحمل في أحشائها عدة "ممكنات" و "احتمالات" مختلفة للتطور المستقبلي. وأما "كيف" سيصبح أحد هذه الاتجاهات المحتملة هو المنتصر ويتحول من حالة "الإمكان"

إلى وضعية "التحقق" الفعلي - التاريخي، فذلك يبقى مرهوناً بجملة عوامل داخلية وخارجية لها دورها الفعال والحاسم في تطور المجتمع المعني وطبيعة النضالات الاجتماعية والطبقية المشتعلة فيه. أنّ مسالة "من سيريح المعركة" ذات علاقة جدلية بنتائج الصراع الطبقي عموما والصراع بين تلك الأنماط وما تتعرض له العديد منها الى عمليات طحن وإعادة صياغة او حتى الشطب من المشهد، وطبعاً بين الطبقات و الفئات والشرائح الاجتماعية والبنى السياسية التي تمثلها، ودور جهاز الدولة في هذه العمليات وطبيعة السلط المهيمنة على مسارات التطور الفعلية.

## هدف الدراسة

منعا لأي التباس لابد من الاشارة الى أن هذه الدراسة تعرف حدودها وتلتزم بها. إنها ليس شيئا أكثر من محاولة لإثارة الانتباه الى عدة وقائع من بينها **واقعتين اثنتين** واقتراح اطار عام وأولي لمقاربتهما:

**الواقعة الاولى** وتتعلق بضرورة التحفظ على اطلاق افكار عامة وضبابية، أو تقديم احكام قطعية حول الدولة والسلطة وطبيعتها والطبقات والفئات والشرائح الاجتماعية التي تمثلها قبل انجاز دراسات متنوعة وجدية ومركبة حول هذا الواقع.

**الواقعة الثانية** وتتمثل بالكشف عن حقيقة أن العراق عرف خلال العقود الاخيرة تشكيلة اجتماعو-اقتصادية من " طراز فريد "، حاولت هذه الدراسة – كهدف لها – ابرازها وتقديمها واقتراح فرضيات أولى لمقاربتها وفتح المجال لمحاولات آخرى للتعمق في تناول جوانب اخرى وهي كثيرة وما زالت "أرض بكر".

وعلى هذا الاساس يمكن القول أن هذه الدراسة ليست سوى مجرد **بحث أولي** يحاول رسم الاطار العام وتحديد المعالم الكبرى أكثر مما يدقق في الجوانب الشكلية للقضايا المطروحة. ولهذا تبدو المعالجة المنهجية ضرورية لاخضاع مفاهيم اللغة السياسية اليومية للنقد، وبما يسمح بانتاج معرفة صحيحة، مركبة عن واقع " يتمرد " على صانعيه !!.

يتم الاستناد، في هذا العمل، الى حقيقة مهمة هي ان البلورة الفعلية للمقولات تستلزم ضرورة الكشف عن تطابقها الأعمق مع تلك الظواهر والعمليات، التي تعكسها هذه المقولات، ولذا فان التحسين والتطوير اللاحق لنظام المفاهيم والمقولات لا بد ان يترافق مع دراسة ملموسة للعمليات الواقعية الحديثة في مجرى الحياة الاجتماعية. وان هذا يتطلب، سوية، رفع تحليل العمليات الواقعية وربط البحث العلمي بالممارسة العملية، وبحث الاشكال الحقيقية لاتجاهات التطور الاجتماعي والرؤية المسبقة لما يمكن ان يترتب على هذه او تلك من الاجراءات.

فالمقولات العلمية المأخوذة في صلاتها المتبادلة إنما **تعكس** أهم سنن تطور المجتمع والتفكير الإنساني عكساً عميقاً وشاملا. ثم أن المقولات، بوصفها حصيلة معينة للمعرفة، وبعكسها أهم خصائص وقانونيات العالم الخارجي، تعتبر **درجات** في تطور سلم المعرفة. ولهذا يمكن القول أن **إنتاج** المقولات ليس ترفاً فكريا بل أن الباحث يستخدم المعرفة المتضمنة في المقولات من أجل وضع المحاكمات وصياغة استنتاجات عقلية وبلورة مفاهيم جديدة تساعد في تعميق المعرفة بحركة الواقع و الفكر.

## اشكالية الدراسة

جرت العودة، خلال العقود الاخيرة، الى اكتشاف الدولة والسلطة والطبقات الاجتماعية باعتبارها اشكاليات ذات طبيعة نظرية ومنهجية، وليس سياسية مباشرة فقط. وقد أنتج هذا فيضا كبيرا من الكتابات حول هذه الموضوعات. كما غطت المناقشة الناجمة عن ذلك مدى شمل الموضوعات المنهجية الأشد تجريداً وصولا إلى المشكلات التاريخية النوعية الصرفة، كما ولدت تنويعة من الفرضيات والرؤى والمقاربات. ومثال ذلك: العلاقات بين المجالات الاقتصادية والقانونية –السياسية ، والحدود المؤسساتية للدولة، تأثيرات وحدود تدخلها عبر مختلف الوسائل، الاختلاف في شكل ووظيفة الدولة العادية والدولة "الاستثنائية"، معنى "الاستقلال النسبي" في علاقته بالقانون و/ أو الدولة، العولمة المتزايدة للإنتاج الرأسمالي وآثارها الضمنية فى الدولة – الأمة ... الخ من القضايا.

ولا يمكن فهم سنن التطور الاقتصادي – الاجتماعي للبلدان النامية ومنها بلادنا، العراق، بشكل صحيح ومعلل إلا بربطها مع سنن تطور العصر بكامله بسبب الوضع "المتفرد" الذي تمتاز به هذه البلدان باعتبارها تشكل جزءا من النسق system الرأسمالي العالمي ويحتل قطاع الرأسمالي الاجنبي مواقع رئيسية هامة في اقتصاداتها. وهي من جانب آخر، وبسبب الوضع التاريخي للسيطرة الاستعمارية، ترتبط بشكل رئيسي بالبلدان الرأسمالية المتطورة. ولهذا السبب بالذات تبقى هذه البلدان، الى هذه الدرجة او تلك، عرضة لتاثير القوانين السائدة والمسيطرة في النظام الراسمالي العالمي وجزئه الاساسي – بلدان "المركز".

ولهذا ومن اجل استيعاب دقيق لسنن التطور هذه تصبح مهمة دراسة التركيب الاجتماعي – الاقتصادي مهمة ضرورية. والسبب وراء ذلك ان هذا التركيب هو الذي يحدد البنية الاجتماعية والطبقية المركبة في البلدان النامية. وليس سبب هذا التعقيد كثرة الطبقات والفئات الاجتماعية التي تمثل طرائق واشكال مختلفة للانتاج فقط وانما ايضا درجة تمايز هذه الفئات والشرائح بعضها عن البعض الآخر من الناحية الاجتماعية وما تعرضت وتتعرض له العديد منها الى عمليات طحن واعادة صياغة. وأهم هذه العمليات الاجتماعية هو الانقسام والتفكك والنمو المتزايد للشرائح والفئات الاجتماعية الوسطي وتنامي الجهاز الحكومي بجميع حلقاته. وبقدر تعلق الامر بهذه الموضوعة تصبح دراسة دور جهاز الدولة في البلدان النامية وطبيعة السلط فيها مهمة ملحة.

## منهجية الدراسة:

بداية، لابد من الاشارة ان هناك حاجة الى مقاربة مركبة للقضايا التي تناولتها الدراسة، مقاربة تتجاوز الجوانب والمظاهر الشكلية والغوص في عمق القضايا المطروحة وتفكيكها والبحث عن جذورها وأسبابها.

نظرا لتشابك الدراسة وتشعب القضايا التي تناولتها فضلاً عن أبعادها المتعددة، ولغرض افتكاك اشكالية الدراسة والاجابة على اسئلتها وتحقيقاً لأهدافها، فإنها اعتمدت على توليفة من المناهج البحثية التالية:

- **المنهج الرئيسي** الذي ستنطلق منه الدراسة وتستند إليه هو المنهج المادي - التاريخي عبر استخدام ادواته ومفاهيمه ومقاربات مفكريه لدراسة التحولات في البنى الاجتماعية وما شهدت من تمايزات وما

تركته من اثار وما ترتب عليه من موازين قوى تمثلت بصعود طبقات وفئات وشرائح جديدة، وما لعبته الدولة ليس كـ "جهاز قوة" فقط بل ومنظم للهيمنة ايضا.

- كما تعتمد الدراسة **المنهج الوصفي- التحليلي** وذلك من خلال دراسة الاصول الاجتماعية والجذور الطبقية للسلطة في العراق خلال فترتي ما قبل 2003 وما بعدها، وما هي ملامح خريطة العلاقات الطبقية/الاجتماعية ودلالاتها، والمعالم الكبرى للمشهد الاقتصادي ومحتوى وتجليات الصراع على الجبهة الاقتصادية.

## بنية الدراسة

بهدف **ضبط** الإشكالية العامة للدراسة والاجابة على اسئلتها التفصيلية، تضمن هذا العمل **تسعة فصول** متلازمة منهجيا في إطار وحدة المقاربة والتحليل، هذا فضلا عن **مقدمة** تضمنت مجموعة من الملاحظات التمهيدية الضرورية.

ظهر **الفصل الاول** تحت عنوان: **الدولة، السلطة... بعض الاشكاليات المنهجية.**

**يسعى** هذا الفصل لاعادة التفكير **بطبيعة** الدولة ومحاولة وضعها في مكانها الطبيعي ضمن التطور التاريخي الملموس، وذلك في محاولة للرد على بعض الاطروحات السائدة في فترات مختلفة حول حدوث **قطيعة** بين الدولة (المجتمع السياسي) والمجتمع المدني. فحسب هذه الاطروحة تقدم لنا الدولة وكأنها فوق الطبقات الاجتماعية، أي تظهر **كمحاولة** لـ "المصالحة بين الطبقات"، أو **باختصار** شديد تقدم لنا **"لابسة ثوب حيادها المبجل"**.

وفي التفاصيل، تضمن هذا الفصل **مبحثان**.

يتوقف **المبحث الاول** عند اشكالية فهم طبيعة الدولة كمدخل لفهم طبيعة السلطة. فثمة ضرورة لتناول مكثف **لإشكالية الدولة** كمدخل لإستيعاب وفهم السلطة السياسية، بهدف بلورة صياغة نظرية للعلاقة بين الطبقة السائدة (أو الائتلاف الطبقي المهيمن) والدولة، مع ملاحظة أن التحليل الطبقي لا يمكن أن يبدأ وينتهي عند مستوى البناء الفوقي للتشكيلة المعنية، بل بارتباط وثيق بما يجري من تحولات في القاعدة الاقتصادية وانعكاس ذلك على البناء الفوقي في اطار جدلية الوحدة/الصراع.

اما **المبحث الثاني** والموسوم: **من المجرد الى الملموس: اشكالية الدولة و "خصائصها" في ظروف البلدان النامية**، فقد تضمن ثلاثة مطالب. المطلب **الاول** يتحدث، بتكثيف، عن دور الدولة في البلدان النامية، **والثاني** يتضمن محاولة لتدقيق بعض المفاهيم من قبيل: "قطاع دولة"، "قطاع عام"، "قطاع حكومي".. ويتسائل حول ما اذا كان التعدد في المصطلحات تعبيرا عن اضطراب مفاهيمي ام لا؟

أما المطلب **الثالث** فيسعى لـ "تحديد الطبيعة الاقتصادية – الاجتماعية لقطاع الدولة في البلدان النامية".

من جهة اخرى، يظهر **الفصل الثاني** تحت عنوان: **طبيعة السلطة السياسية، طبيعة الدولة – اختلاف المصطلحات، أم اختلاف المفاهيم؟** وتضمن هذا الفصل مبحثان.

كرس **المبحث الاول** للحديث عن " **منهجية دراسة السلطة السياسية والمناهج المستخدمة**".

ومن جانب آخر تم تخصيص **المبحث الثاني** للحديث عن "اهمية الاجهزة الايديولوجية للطبقات الحاكمة". إن **أهمية** هذه الأجهزة تكمن في ممارستها "التضليل الآيديولوجي" لضمان استمرار النظام السياسي القائم. وبهذا المعنى تكون الأجهزة الآيديولوجية للدولة لا مجرد مروجة للأفكار فحسب بل هي رهان "الصراع الطبقي" الذي تدور رحاه على مستوى البنية التحتيّة. وبهذا المعنى تكون الآيديولوجيا **"اسمنت التشكيلة الاجتماعيّة"**، والتي تعمد اما إلى تزييف الواقع وتضليل الجماهير، واما أن تنحاز إلى الجماهير العريضة، أي الى الطبقات المضطهَدة .

أما **الفصل الثالث** الموسوم: **بعض المقاربات بشأن الدولة: اشكالية الدولة في الكلاسيك الماركسي** فيضم ثلاثة مباحث. المبحث **الأول** مكرس للحديث عن **مقاربة ماركس – انجلس** للدولة. أما المبحث **الثاني** فيتحدث عن **المقاربة اللينينية**. في حين تم تكريس المبحث **الثالث** للحديث عن **مقاربة غرامشي** للدولة حيث ينظر إليها باعتبارها ليست جهاز قوة فقط بل ومنظِم للهيمنة.

ومن جهة أخرى فان **الفصل الرابع** والموسوم: **اشكالية الدولة مجددا – مقاربات ماركسية معاصرة**، يضم **ثلاثة مباحث**.

يتوقف **المبحث الاول** عند مقاربة الفيلسوف والمفكر الفرنسي المعروف **(ألتوسير)** للدولة. حيث ميّز ألتوسير بين **"سلطة الدولة "** Pouvoir d'État و **"جهاز الدولة"** Appareil d'État مشيرا الى انه لا معنى لهذا الأخير دون وجود الأول، ويمكن أن يبقى جهاز الدولة في مكانه بينما تمسك وتحتفظ بسلطة الدولة طبقة من الطبقات أو تحالف طبقات أو أجزاء من طبقات معينة، فقط لأنها **هدف** صراع الطبقات السياسي. واقترح (ألتوسير) مفهوم **"أجهزة الدولة الآيديولوجية ideological state apparatuses"** لتطوير نظرية الدولة الماركسية، ليقول أنه لابد من وضعه في الاعتبار كـ "حقيقة" تظهر إلى جانب جهاز الدولة (القمعي). ولكنه بالمقابل ينبه الى **تجنب الخلط** بين الإثنين: جهاز الدولة القمعي وأجهزة الدولة الآيديولوجية.

اما **المبحث الثاني** فيتوقف عند مقاربة المفكر الفرنسي، اليوناني الاصل، **(نيكوس بولانتزاس)**، الذي عالج اشكالية السلطة السياسية، والدولة، والطبقات الاجتماعية. كما قدم بولانتزاس مقاربات عميقة في الواقع لأشكال الدولة في الرأسمالية: الدولة الاستبدادية، نموذج الدولة الفاشية، نموذج دولة الاستثناء.

ومن جهته فان **المبحث الثالث** كُرس لمقاربة المفكر المصري الراحل **سمير أمين** للدولة ضمن رؤية اشمل تتعلق باشكالية المركز/الاطراف والتطور المتفاوت والتبادل اللامتكافي.

وتواصل الدراسة تسليط الاضواء على الدولة، فيظهر **الفصل الخامس** تحت عنوان: **نماذج ومفاهيم اخرى للدولة**، وضم ثلاثة مباحث.
المبحث **الأول** ظهر تحت عنوان: **مفهوم الدولة الريعية واشكالياته**. أما المبحث **الثاني** فتناول مفهوم **الدولة الغنائمية**، أو **الدولة النيوباتريمونيالية**، أما المبحث **الثالث** فكرس للحديث عن مفهوم "الدولة العميقة".
أما **الفصل السادس** فظهر تحت عنوان: **مقولات: البنية الاجتماعية، الطبقة الاجتماعية، الفئة الاجتماعية – النموذج النظري والتشكل التاريخي: نحو اعادة تركيب**. ضم الفصل ثلاثة مباحث.
توقف المبحث **الاول** عند مفهوم الطبقة واشكالياته الكبرى، أما المبحث **الثاني** فتوقف عند بعض الاشكاليات المرتبطة بمفهوم "الفئات الهامشية" لما باتت تلعبه هذه الفئات من أدوار مثيرة في البنية

الاجتماعية. في حين انتقل المبحث **الثالث** من العام الى الخاص، وذلك من خلال الحديث عن تشكل، نشوء وتطور "الفئات الهامشية" المدينية في البلدان النامية واصولها الاجتماعية وجذورها الطبقية.

في حين ينطلق **الفصل السابع** من سؤال استراتيجي قوامه: **من يحكم العراق؟** وفي مسعى الاجابة على هذا السؤال تركز البحث للكشف عن الاصول الاجتماعية والجذور الطبقية للسلطة في العراق عبر **ثلاثة** مباحث.

من جهته كرس الفصل **الثامن** للبحث في **طبيعة السلطة في العراق بعد 2003** بهدف التعرف على الملامح الاساسية للخريطة الطبقية – الاجتماعية وكيف تبلورت بالملموس. يضم الفصل **اربعة مباحث**. وانطلاقا من حقيقة ان السياسية هي التعبير المكثف عن الاقتصاد فقد توقف المبحث **الاول** عند **المعالم الكبرى للمشهد الاقتصادي**. وبالنظر لطبيعة الاقتصاد العراقي الذي هو اقتصاد ريعي الطابع وتعتمد البلاد على الريوع النفطية بالاساس والتي تحدد اتجاهات الانفاق وحركة المجتمع وصيرواته فقد كرس المبحث **الثاني** لبحث **تأثيرات الدخول النفطية على الاقتصاد والطبقات الاجتماعية بعد 2003**. في حين بحث المبحث **الثالث** في التبدلات الحاصلة في الخريطة الطبقية الاجتماعية في العراق وما تحمله من دلالات فعلية. ومن خلال المبحث **الرابع** تتم العودة مجددا للاقتصاد، وهنا يتم بحث **محتوى وتجليات الصراع** على الجبهة الاقتصادية في المرحلة الراهنة.

لم تكتف الدراسة بتحليل ما جرى بل سعت، في الختام، الى القيام بتركيب للمشهد بالبحث عن جذور المشكلات الفعلية، حيث تم فرز فصل مستقل هنا وهو **الفصل التاسع** والأخير والموسوم: **جذور المشكلة – "الخيار" المدمر. المشروع الاقتصادي لسلطة الاحتلال وآثاره**.

يتألف هذا الفصل من **ثلاثة** مباحث. المبحث **الاول** يتناول "العناصر الاساسية للمشروع الاقتصادي لسلطة الاحتلال". في حين يناقش المبحث **الثاني** الحصاد المُر لهذا المشروع وما تركه من آثار فعلية مدمرة. اما المبحث **الثالث** فهو محاولة تركيب واعادة بناء للاشكاليات المثارة وذلك انطلاقا من سؤال استراتيجي اخر وهو: **البلاد الى أين؟ دولة طوائفية أم دولة مدنية ديمقراطية عصرية؟ خلاصات واستنتاجات**.

**********

اما **الكتاب الثاني** فظهر تحت عنوان:

## الاستراتيجية الأمريكية المعاصرة

**بعض معالم التحولات في التفكير الاستراتيجي للولايات المتحدة الامريكية**

**بعد** 11 **سبتمبر** 2001

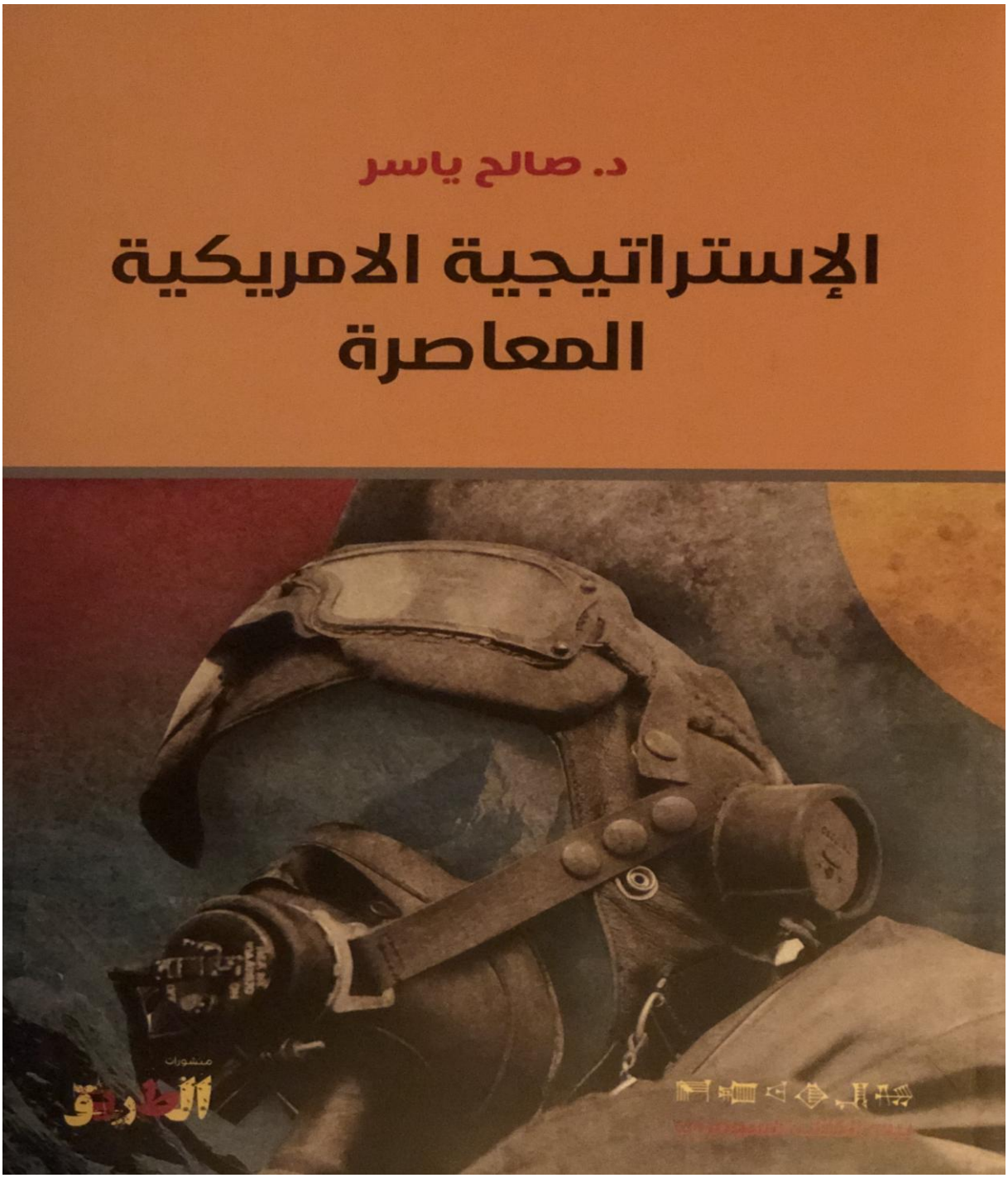

يضم الكتاب **552** من القطع الكبير.

تنطلق هذه الدراسة من فرضية قوامها أنه لا يمكن فهم طبيعة التحولات التي شهدها التفكير الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية خلال العقدين الأخيرين دون ربط الأمر بما حدث في 11 أيلول/سبتمبر 2001. وبداية لا بد من القول أن هذه الأحداث وتداعياتها شكلت منذ لحظة وقوعها، واستمرت، تشكل الأحداث الأهم في المشهد السياسي العالمي. ويكمن **السبب** في ذلك أنها أحدثت أثراً بعيداً وعميقاً في العلاقات الدولية الى درجة دفعت بعض المتخصصين بالقضايا الاستراتيجية الى القول بأن معالم **"علاقات دولية جديدة"** بدأت تتبلور وأن عُمقاً جديداً لما يسمى بـ **"النظام الدولي الجديد"** بدأت غماره وتداعياته على نحو مفصلي وتاريخي ونوعي. بل ان هناك من ذهب الى أبعد من ذلك بحيث أطلق على الفترة التي تلت 11 أيلول/سبتمبر 2001 "عصر الرعب".

وعلى مستوى الولايات المتحدة، شكلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 منعطفا خطيرا في مسار الإستراتيجية الأمنية الأمريكية. فبعد الهجوم على برجي التجارة العالمية واستهداف مبنى البنتاغون بطائرات مدنية، ما شكل تطورا نوعيا في تهديد الأمن الوطني والمصالح الأمريكية في الداخل، الأمر الذي جعل المسؤولين الأمريكيين يعيدون رسم استراتيجياتهم الأمنية العالمية، وعلى رأسهم الرئيس بوش الإبن وفريقه الرئاسي الجمهوري، وما نتج لاحقا دفع الكثير من الأكاديميين والباحثين المهتمين بهذه القضايا إلى الكلام عن **"مرحلة ما بعد 11 سبتمبر"**. بل ذهب آخرون بعيدا للحديث عن تبلور مرجعية فكرية للخطاب الاستراتيجي الأمريكي ما بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر 2001.

في الحادي عشر من أيلول/سبتمبر 2001، حدث تحوّل آخر بعد **دخول الإرهاب كبعد ثالث** لا يقل أهمية في المعادلة الاستراتيجية التقليدية والنووية لما بعد عام 1945، فقد واجهت إدارة الرئيس الامريكي (جورج دبليو بوش) تحدياً مماثلاً لما واجهه المخططون الاستراتيجيون في مستهل "العصر النووي"، وتمثل ذلك التحدي في صياغة سياسة دفاعية فعّالة لعالم شهد تغييرات جذرية في السابق بالأسلحة الذرية وحالياً بالإرهاب، فكانت **(استراتيجية الأمن القومي لعام 2002)**، القائمة على مفهوم **"الحرب الاستباقية"**، أو ما أطلق عليه لاحقا **"عقيدة بوش"**، وهي السياسة الدفاعية التي جرت صياغتها في البداية للتعامل مع هذه **البيئة الجديدة ثلاثية الأبعاد**. ولهذا يمكن القول إن أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر أحدثت تحولاً كبيراً في التخطيط الاستراتيجي لا يقل أهمية عما حدث من تحولات عام 1945.

فقد صرح الرئيس الامريكي الأسبق (جورج دبليو بوش) ان الدفاع الامريكي اعتمد خلال معظم القرن الماضي على عقيدتي الردع والاحتواء في حقبة "الحرب الباردة"، ومازالت هاتان العقيدتان تطبقان في بعض الحالات، ولكن التهديدات الجديدة تتطلب أيضاً التفكير بصورة جديدة.

إن أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر 2001 سمحت للولايات المتحدة بأن تعيد ترتيب خارطة العالم بما يتلاءم مع فلسفتها السياسية لتنميط التطورات العالمية حسب رؤيتها، وهذا ما صرح به وزير الدفاع الأمريكي الاسبق **دونالد رامسفيلد (Donald Rumsfeld)** بعد يومين من هذه الأحداث لوكالات الأنباء العالمية حيث قال: "إن الدماء الأمريكية التي زهقت في الأحداث ستحقق أهدافًا عظيمة للولايات المتحدة على مدى قرن كامل"!.

ويمكن حصر أهم ما يميّز إدارة بوش الإبن هو بروز التيار اليميني المتطرف بشقيه؛ **السياسي** المعروف إصطلاحا بـ "**اليمين المحافظ الجديد**"، **والديني** المعروف إصطلاحا بـ "**اليمين المسيحي الجديد**"، وتوفر الأجواء لتبني أفكارهم والترويج لها من قبيل "الحرب الإستباقية". وتقتضي الاشارة هنا الى أن النزعة المحافظة برزت إبان "الحرب الباردة" وتعزز حضورها أثناء الحملة الإنتخابية للرئيس الامريكي الأسبق رونالد ريغان (1981-1989). وينطلق هذا التيار الديني - السياسي من مبدأ تقسيم العالم إلى "معسكر الخير" في مقابل "معسكر الشر".

ومن جانب آخر فإن أحداث 11 أيلول/سبتمبر دفعت الإدارة الأمريكية في عهد بوش الإبن على اعتماد أجندة متشدّدة في علاقاتها مع العالم. إن هذه هي الرؤية التي تشبث بها "المحافظون الجدد" كآيديولوجيا شاملة حاولوا فرضها في السياسة الخارجية الأمريكية.

هكذا إذن بدأت "بشائر" حقبة ما بعد الحادي عشر من أيلول 2001 تهطل محملة بالتصور الأمريكي لتنميط العالم. وكل الإجراءات وخطب الساسة الأمريكيين الكبار، بما فيهم الرئيس الاسبق جورج دبليو بوش (**George Walker Bush**)، بيّنت أن الولايات المتحدة ماضية في استكمال تصورها الاستراتيجي لهذه المرحلة.

وقد كان خطاب "**حال الاتحاد**" الذي ألقاه (بوش) في 29 كانون الثاني 2002 قد وضع الإطار العام للوجهة الجديدة بإبقائه الباب مفتوحا على مصراعيه لمواصلة الولايات المتحدة لـ "**الحرب على الإرهاب**"، فقد اشار الى "إن هدفنا الثاني هو منع الأنظمة التي ترعى الإرهاب، عن تهديد الولايات المتحدة أو أصدقائها أو حلفائها بأسلحة الدمار الشامل"، وأضاف الى ذلك نحته لمفهوم "**محور الشر Axis of Evil** " وحيتها حدّد إيران والعراق وكوريا الشمالية "كمحور للشر" مدشنا جبهة جديدة، بإضافة هذه الدول وقائمة إضافية من "**الدول المارقة Rouge States**" والتي تنتج أسلحة الدمار الشامل، الى من ستطولهم اليد الطويلة للولايات المتحدة !

وهكذا كان حال الخطاب السائد في الذهنية الأمريكية خلال هذه الفترة، إنه "خطاب آيديولوجي" بامتياز سيطرت عليه فكرتان أساسيتان هما "الإرهاب" و "صراع الحضارات".

وهاتان الفكرتان آيديولوجيتان زائفتان، إذ انهما لا تعبران عن الحقيقة ولا تستهدفانها، بل هما جزء من الترسانة الآيديولوجية التي يلجأ إليها صانع القرار الأمريكي من أجل إنتاج سياسات في الداخل والخارج يتعذر تمريرها وتبريرها وتسويقها دون غطاء آيديولوجي كثيف يحجب الواقع بمجموعة من الدعاوى التي تتسم - ظاهرياً على الأقل - بقيمة أخلاقية ومعرفية وإنسانية.

وتجنبا للالتباس لا بد من التذكير بأن لكل من هاتين الفكرتين وظيفة مختلفة عن الأخرى، ولكنهما في النهاية تؤديان وظيفتين متكاملتين. فبينما تهيئ فكرة "صراع الحضارات" الذهنية في الداخل الامريكي لتقبل وضع تكون فيه الولايات المتحدة في حالة نزاع مع مجموعة كبيرة من دول العالم، فإن فكرة "الإرهاب" أو بعبارة أدق "ملاحقة الإرهاب" في كل مكان من العالم، تمنح المبرر أو المسوّغ لصانع القرار السياسي لزج القوات الأمريكية المسلحة في مهمات قتالية في أماكن متعددة من العالم، بعيدة من الناحية الجغرافية عن حدود الولايات المتحدة بعداً شاسعاً، بدعوى التصدي لمخاطر الإرهاب في حرب دفاعية تستهدف استباق المخاطر التي قد تتعرض لها الولايات المتحدة كتلك التي حدثت في الحادي عشر من سبتمبر في أكبر مدنها وأهم ولاياتها.

هكذا أعدت الارضية الايديولوجية وأعد مسرح العمليات بعناية، وثمة فقرة أولى فيه كان عنوانها المعروف: إزاحة "طالبان" من السلطة، وقد تم إنجازها بنجاح! ولكن لا بد من الإشارة الى أن هذه الفقرة لم تكن إلا مجرد فقرة من نص أمريكي طويل امتد ليشمل الحصول على قواعد وامتيازات في أفغانستان. ودخلت الحرب الاقتصادية على الخط فقدمت "مساهمتها" في تطويع الإقليم لإدارة أمريكا في "الشراكة" في نفط وغاز بحر قزوين الواعد حقا، والذي يستحق مثل هذه المغامرة العسكرية!

هكذا إذن سيقت الدعوة الى "مقاومة الارهاب" عنوانا لحملة عسكرية جرارة و طويلة الأمد اهدافها مشدودة الى اغراض أخرى اهمها النفط، وان لم يكن الوحيد طبعا. وهكذا اختيرت ساحة افغانستان لتكون مسرحا لتلك الحملة، لا لأنها فقط معقل "طالبان"، و "القاعدة"، وإنما لأنها الممر الجغرافي الأميّز الى منطقة النفط المستهدفة – بحر قزوين الواعد -.

## أهمية الدراسة

لاشك أن موضوع الدراسة الموسومة هو موضوع واسع النطاق ومتعدد الأبعاد ومتشابك، هذا إضافة الى انه يعد واحدا من أهم المواضيع التي كَثُر حولها الجدل و تفاوتت بشأنها الآراء والمقاربات.

ولذا فإن الدراسة تمحورت بالأساس على ما جرى في الحادي عشر من أيلول/سبتمبر 2001 وما ترتب عليه من آثار على مستوى الولايات المتحدة والعالم عموما من بينها إعادة النظر في العديد من "ثوابت" التفكير الاستراتيجي في هذا البلد. لذا فإن أهمية هذه الدراسة تكمن في محاولتها تتبع أبرز "الهزات الارتدادية" أي معالم التحولات الكبرى في التفكير الاستراتيجي للولايات المتحدة الامريكية بعد "زلزال" 11 أيلول/سبتمبر 2001 والسعي لاستخلاص أبرز الآثار الناجمة عنها وما طرحته تلك الاحداث من اشكاليات وأعباء على التفكير الاستراتيجي والعقيدة العسكرية الامريكية وما طرأ عليها من تغيرات لمواجهة التحديات الجديدة.

واذ يعرف الباحث حدود مهمته فإنه لابد من تثبيت ملاحظة قوامها ان هذه الدراسة تنطلق من مقاربة اقتصادية- سياسية تلاحق **التحولات في التفكير الاستراتيجي للولايات المتحدة الامريكية بعد 11 أيلول/سبتمبر 2001** وما نجم عن تطبيق مفردات تلك التحولات من تداعيات جيوسياسية واستراتيجية خطيرة في مقدمتها الانتقال من "استراتيجية الردع والاحتواء" الى "استراتيجية الهجوم الوقائي" وما رافقها من انتاج مفاهيم من قبيل: "محور الشر"، "الدول المارقة"، "الحرب الشاملة ضد الإرهاب" ... الخ، وتوظيف ما جرى من أحداث لـ "تنميط" العالم وفق المقاسات الامريكية "المعتادة" في الهيمنة.

## هدف الدراسة

للدراسة **هدف متعدد الأبعاد** ينطلق من السعي **لرصد التحولات في التفكير الاستراتيجي للولايات المتحدة الامريكية بعد 11 سبتمبر 2001** وفهم التجليات الجديدة التي شهدها التفكير الاستراتيجي لهذا البلد في المرحلة المعاصرة من تطوره وخصوصا بعد انتهاء فترة "الحرب الباردة" التي توجت بانهيار الاتحاد السوفيتي وتفكك المعسكر الاشتراكي وبروز "عالم الاحادية القطبية" بقيادة الولايات المتحدة، وما طرح ويطرح من خطابات وأطروحات ومقاربات نظرية وجيواستراتيجية متنوعة تستهدف توصيف هذه المرحلة والآليات والأساليب والإجراءات الكفيلة بتحقيق الهيمنة الأمريكية على العالم وتنميطه وفقا لرؤيتها الاستراتيجية والجيوسياسية. وفي مقدم ذلك حاولت الدراسة التوقف عند خطاب ورؤية النيوليبرالية المعاصرة في هذا المجال على حقيقتهما، بعيداً عن الصخب الآيديولوجي الذي تقدمه لنا الترسانة النظرية والاستراتيجية لمؤسسات صناعة القرار ومجموعات المصالح في الولايات المتحدة.

كما حاولت الدراسة التأمل في الاستراتيجية الأمريكية والكشف عن أهدافها الفعلية وليس المعلنة، وتتبع مساراتها التاريخية وخصوصا خلال الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية سواء تعلق الأمر بـ "حقبة

الحرب الباردة" أو الحقبة التي تلت انتهاء "الحرب الباردة" وصولا الى "حقبة بوش الابن" وتبلور "عقيدة بوش" باعتبارها "الإنجيل الجديد" الذي يجب على الجميع حفظ مفرداته عن ظهر قلب في الفترة التي تلت احداث 11 أيلول/سبتمبر 2001، والتي لابد من الخضوع لمنطقها دون قيد او شرط، وصولا الى التعرف على أبرز معالم التحولات الاستراتيجية في عهد (باراك أوباما) وبروز "عقيدة اوباما" والتوقف عند ما يميزها عن "عقيدة بوش" وهل ان الاختلافات بين "العقيدتين" تكمن في الدرجة أم في النوع (أي هل هناك وجود لقطيعة بينهما)؟

ومن المؤكد ان هذه المقاربة لا تتكئ على الآيديولوجيا – بمعناها السلبي طبعا- بل تقارب أحداث 11 أيلول/سبتمبر وخطابها "الرنان" وما يرتبط بها من تحولات استراتيجية وجيوسياسية استنادا الى التجارب التاريخية الملموسة التي حدثت في مناطق وبلدان مختلفة.

قد تبدو المسائل المثارة من السعة والتعقيد بحيث تظهر وكأنها "جزر متناثرة"غير مترابطة ظاهرياً، ولكن نباهة القارئ ستكشف عن تلك الخيوط الخفية أو "غير الواضحة" أو "الملتبسة" وستساعده في إجراء تركيب يسمح له، في النهاية، باكتشاف وفهم جوهر المضامين الفعلية والتجليات الملموسة **للتحولات في التفكير الاستراتيجي للولايات المتحدة الامريكية بعد 11 أيلول/سبتمبر 2001** ومحاولات تكييف التفكير الاستراتيجي في "القطب الأوحد" لمواجهة التحديات الجديدة التي تركتها احداث أيلول/سبتمبر وما طرح من رهانات استراتيجية وتنويعات تطبيقية ملموسة، كما جرى مثلا في العراق بعد 3003 والمأزق الذي واجهته استراتيجية الاحتلال في هذا البلد ومحاولات الخروج منه ("الفوضى المنظمة"، "استراتيجية افعى الأناكوندا"، "المشروع الاقتصادي للحاكم المدني بول بريمر"، "مقاربة كيسنجر"، "رؤية اوباما – خطتي للعراق"... الخ).

## إشكالية الدراسة

تنطلق هذه الدراسة من افتراض أن احداث 11 أيلول/سبتمبر كان لها آثارا كبيرة وبعيدة على الأمن والمجتمع الأمريكى والعالمي فرضت "حتمية" مراجعة استراتيجية الأمن الأمريكى، ومن هنا يصبح السؤال الرئيسى هو: **ما هى عناصر التغيير والاستمرار فى استراتيجية الأمن القومى بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر؟**

واستنادا الى السؤال اعلاه، يمكن القول أن اشكالية الدراسة **تتمحور** حول طبيعة التحولات التي شهدها التفكير الاستراتيجي للولايات المتحدة بعد 11 أيلول/سبتمبر 2001 وما هي ابرز معالم العقيدة العسكرية الامريكية وبعض رهاناتها الكبرى وابرزها الانتقال من "استراتيجية الردع والاحتواء" الى "استراتيجية الهجوم الوقائي"، وتنويعاتها على المستويات: المحلية والاقليمية والدولية، وما جرى من "تمارين بالذخيرة الحية" في مناطق مختلفة من العالم لوضع الاستراتيجية "الجديدة" موضع التطبيق العملي واختبارها في كيفية سحق الخصوم!!.

وسعيا لمواجهة التحديات الجديدة، عملت إدارة بوش الإبن على إدخال "تغييرات جذرية" في فكرها الإستراتيجي عبر تجاوز مفاهيم "الحرب الباردة" التقليدية، وذلك بهدف الاستجابة للمتغيرات الجديدة التي أفرزها تحول النظام الدولي، وبصفة أساسية عقب "زلزال" الحادي عشر من أيلول/سبتمبر 2001، والتي

استُغلت بدورها بشكل مدروس للإفصاح عن عقيدة إستراتيجية جديدة، استهلت بإعلان "حرب عالمية النطاق على الإرهاب" واستهداف عدة دول ومجموعات تدخل في هذا الإطار.

وقد تزامن هذا مع إعلان (البيت الأبيض) لوثيقة "**إستراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية**" في أيلول 2002، والتي كانت تحمل في ثناياها الخطوط الرئيسية لعقيدة الحرب الوقائية كمفهوم استراتيجي جديد في القرن الحادي والعشرين.

سعت هذه الدراسة إلى **اختبار** العلاقة بين الاهداف المعلنة والاهداف المضمرة لهذه التحولات الاستراتيجية والتي تبدو أنها تدور حول القضية الكبرى والخيار الاستراتيجي الاهم والمتمثل ببناء "نظام عالمي جديد" بقوة المدافع والبوارج الحربية بعد ان عجزت "القوة الناعمة" بتحقيق "نصر باذخ"، وبعد ان غادر مسرح التاريخ "النظام الدولي" الذي كان قد تشكل كنتاج لتوازن القوى الذي نشأ بعد الحرب العالمية الثانية وما تلاها من "حرب باردة" بين القوتين العظميين: الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.

لقد دشن "النظام العالمي الجديد" حقبته بتمارين بالذخيرة الحية من كوسوفو الى "عاصفة الصحراء"، ثم لاحقا في افغانستان والعراق ومناطق اخرى من العالم، وكانت الاهداف الكبرى واضحة وفي مقدمتها: **التأسيس لمعالم تقسيم عالمي جديد للعمل يفرض بقوة المدفع**، علما ان حسابات الحقل لم تتطابق في الغالب مع حسابات البيدر، كما يقال.

على ضوء ما سبق ذكره تبرز معالم إشكالية البحث من خلال التساؤل الرئيسي التالي: **ما هي معالم أو ملامح التحولات والتغيرات في التفكير الاستراتيجي للولايات المتحدة الامريكية بعد 11 سبتمبر 2001، وهل كانت امتدادا للتفكير الاستراتيجي الامريكي خلال الحقبات التاريخية السابقة أم مثلت تحولا في نمط ومنطق هذا التفكير القائم على سرديات معروفة في مقدمتها عالمية الدور الامريكي؟** ومن أبرز منظري هذا الاتجاه **تشارلز كروثامر** (Charles Krauthammer) الذي أعلن الانفراد الأمريكي بعالمية الدور مؤكدا أن المنافسين للولايات المتحدة الأمريكية في عالم يتسم بتعدد الأقطاب Multipolor World ليس أكثر من أسطورة، سرعان ما تفجرت.

وبالعودة الى التأريخ "السحيق" فإن تأسيس الولايات المتحدة الأمريكية، بعد انفصالها عن بريطانيا، شكل بداية تاريخ آخر لسلسلة التطور للحضارة الغربية، في كونها حضارة كونية، وهي نفس العقيدة التي تأسست على أساسها الولايات المتحدة الأمريكية، المكلفة بتنفيذ "رسالة سماوية أو المهمة الالهية المقدسة" ، ينبغي نشرها بكل الوسائل المتاحة.

ولابد من الإشارة أيضا الى أن الكثير من المفكرين الأمريكيين، قد ساهموا في تجذير "قدسية" هذه التوجهات الفكرية والممارسات العملية. ومن جهة أخرى يجب عدم نسيان أو التقليل من الدور الذي تنهض به مؤسسات التفكير الامريكية Think Tanks التي يبلغ عددها بحسب بعض الباحثين ما يقارب الـ 1200 مؤسسة للفكر والرأي تسيطر على الساحة السياسية الامريكية وتشكل مجموعة متباينة من حيث اتساع نطاق المواضيع.

و في هذا الإطار و للإلمام أكثر بجوانب الإشكالية، طرحت الدراسة بعض الأسئلة الفرعية بهدف الاجابة عليها وهي:

- ما هي استراتيجية الامن القومي الامريكي خلال فترة "الحرب الباردة"؟

- ثم ما هي هذه الاستراتيجية بعد انتهاء حقبة "الحرب الباردة" خلال فترة بوش الأب مرورا ببيل كلينتون وجورج دبليو بوش وانتهاء بباراك أوباما؟
- ما هي تحديدا طبيعة وخصوصية التحولات التي شهدها التفكير الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية بعد 11 أيلول/سبتمبر 2001؟
- ما هي جذور واسباب التحول من "استراتيجية الردع والاحتواء" الى استراتيجية الهجوم الوقائي"؟ وما هي "التمارين بالذخيرة الحية" التي تم تنفيذها لتحقيق الاستراتيجية الأخيرة؟
- ما هي انعكاسات الانتفاضات الشعبية في البلدان العربية على الاستراتيجية الاقليمية للولايات المتحدة الامريكية في المنطقة؟
- لماذا بناء "نظام عالمي جديد" بقوة المدافع والبوارج الحربية في هذه اللحظة التاريخية تحديدا؟ وما هي **الآثار** المترتبة على ذلك؟
- ما هو مأزق استراتيجية الاحتلال الامريكي في العراق ومحاولات الخروج منه؟

## منهجية الدراسة:

بداية، لابد من الاشارة ان هناك حاجة الى مقاربة مركبة للقضايا التي تناولتها الدراسة، مقاربة تتجاوز الجوانب والمظاهر الشكلية والغوص في عمق القضايا المطروحة وتفكيكها والبحث عن جذورها وأسبابها. فمن المعروف ان هناك تراجعا نسبيا تعيشه النماذج التقليدية المعتمدة في تفسير الظواهر والعمليات السائدة في العلاقات السياسية الدولية والتي بنيت على أساس توازن الرعب النووي و "الحرب الباردة" .. الخ، الأمر الذي أدى الى ظهور "أزمة النموذج" في العلاقات السياسية الدولية حسب المفكر **توماس س. كون** ( Thomas Samuel Kuhn) في كتابه " **بنية الثورات العلمية** " الذي يفند فيه **غياب نظرية تفسيرية قوية قادرة** على تحليل أوضاع النظام العالمي الحالي.

نظرا لتشابك الدراسة وتشعب القضايا التي تناولتها فضلاً عن أبعادها المتعددة، ولغرض افتكاك اشكالية الدراسة والاجابة على اسئلتها وتحقيقاً لأهدافها، فإنها اعتمدت على توليفة من المناهج البحثية التالية:

- **المنهج الرئيسي** الذي ستنطلق منه الدراسة وتستند إليه هو المنهج المادي - التاريخي عبر استخدام ادواته ومفاهيمه لدراسة التحولات في التفكير الاستراتيجي للولايات المتحدة الامريكية وخصوصا بعد احداث 11 أيلول/سبتمبر 2001 وحتى انتهاء الولاية الثانية للرئيس الامريكي (باراك أوباما) في كانون الثاني 2017 دون ان يعني التركيز على هذه الفترة اهمال الفترات التي سبقت هذه الاحداث. ولا شك ان تفكيك الخطاب والممارسات التي اعتمدتها مراكز التفكير الاستراتيجي ومراكز صناعة القرار في الولايات المتحدة وإنتاج معرفة عنها سيساعد في كشف مضامينها الفعلية وأهدافها الحقيقية و آثارها الملموسة.

- كما تعتمد الدراسة **المنهج الوصفي- التحليلي** وذلك من خلال دراسة وتحليل بعض الرهانات الاستراتيجية، على الصعيدين الداخلي والخارجي، وما ارتبط بها من مفاهيم ومقولات "جديدة"، هذا اضافة الى تحديد طبيعة "التمارين" بالذخيرة الحية التي نفذت لتحقيق تلك الرهانات وما ارتبط بها من تدخلات والآثار التي تركتها هذه التدخلات في البلدان او المناطق التي خضعت للوصفات الجديدة لتحقيق الهيمنة والاستفادة من التحولات الاستراتيجية التي ترتبت على احداث ايلول/سبتمبر 2001، والحصاد المُرّ على الصُعد الاقتصادية والاجتماعية والجيواستراتيجية.

# حدود الدراسة وبنيتها

تتضمن حدود البحث المدى الزماني الممتد منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى نهاية ولاية الرئيس الامريكي باراك أوباما في كانون الثاني 2017 مع تركيز خاص على الفترة التي تلت أحداث 11 أيلول/سبتمبر 2001 وما تركته من تحولات في الفكر الاستراتيجي للولايات المتحدة وما اقترن بذلك من تبلور مفاهيم جديدة و "خطاب جديد" وتطبيقات ورهانات استراتيجية هناك وانعكاس ذلك على بقية العالم.

وبهدف **ضبط** الإشكالية العامة للدراسة والاجابة على اسئلتها التفصيلية، تم تقسيم هذا العمل الى **ثمانية فصول** متلازمة منهجيا في إطار وحدة المقاربة والتحليل، هذا فضلا عن **مقدمة** تضمنت مجموعة من الملاحظات التمهيدية الضرورية.

ظهر **الفصل الاول** تحت عنوان: **الاستراتيجية والتكتيك- جدل المقولات والمفاهيم.** ويبحث هذا الفصل في بعض الاشكاليات المنهجية والنظرية والتطبيقية، فقد حاولنا من خلال هذا الفصل أن نوضح جملة من المصطلحات والمفاهيم الرئيسية المتعلقة بالإطار العام لموضوع هذه الدراسة.

وفي التفاصيل، تضمن هذا الفصل **مبحثان**.

يتوقف **المبحث الاول** عند مفهوم الاستراتيجية في محاولة لتناول اكثر انضباطا لهذا المفهوم. وفي هذا المبحث يجري العمل، على المستوى المفاهيمي، لتأصيل المفهوم المذكور عبر إعادة صياغته وتحديد مدلولاته، بهدف التوصل الى **أبرز** العلائم المميزة له. كما يجري الحديث أيضا عن الأهداف والوسائل في الاستراتيجية وأبرز قواعدها وفروعها.

اما في **المبحث الثاني** والموسوم: **التكتيك – المضمون والاشاليات الاساسية** فيدور الحديث هنا عن مفهوم التكتيك ومضمونه ووسائله ومبادئه العامة.

ويختتم الفصل بالحديث عن **بعض العلاقات الاساسية**، بين الاستراتيجية من جهة والتكتيك والسياسة من ناحية ثانية.

من جهة اخرى، يظهر **الفصل الثاني** تحت عنوان: **طبيعة التحولات التي شهدها التفكير الاستراتيجي للولايات المتحدة الامريكية عبر تاريخها المعاصر مع إشارة خاصة الى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية**، وتضمن ثلاثة مباحث.

يظهر **المبحث الاول** تحت عنوان: **مصادر الفكر الاستراتيجي الامريكي ومدارسه**، وفيه تجري "العودة الى الجذور" عبر التوقف عند مصادر الفكر الاستراتيجي الامريكي، ومتغيرات الاستراتيجية الامريكية، مع تقديم لمحة مكثفة حول مدارس التفكير الاستراتيجي في هذا البلد.

ومن جانب آخر تم تخصيص **المبحث الثاني** للحديث عن استراتيجية الأمن القومي الأمريكي خلال فترة "الحرب الباردة".

اما **المبحث الثالث** فتم تكريسه للحديث عن ملامح الاستراتيجية الأمريكية بعد انتهاء "الحرب الباردة" حتى انتهاء ولاية جورج دبليو بوش.

أما **الفصل الثالث** الموسوم: **أبرز معالم التحولات الإستراتيجية في عهد باراك أوباما**، فيضم اربعة مباحث. المبحث **الأول** كُرس للحديث عن "تقرير المراجعة الدفاعية للفترة 2010 – 2014). أما المبحث **الثاني** فيتحدث عن "مقاربة التكييف الاستراتيجي" وعما اذا كانت هذه المبادرة عبارة عن مناورة استراتيجية أمريكية في الشرق الأوسط لمواجهة التحديات الجديدة. في حين تم تكريس المبحث **الثالث** للحديث عن المعالم الاساسية لـ "عقيدة أوباما"، أما المبحث **الرابع** فيمثل محاولة لتقييم هذه العقيدة. ويختتم الفصل بمقارنة مكثفة بين استراتيجية جورج دبليو بوش واستراتيجية باراك أوباما ضمن مسعى الاجابة على سؤال مهم وهو: **هل ان الخلاف بين الاستراتيجيتين يكمن في الدرجة او في النوع (قطيعة استراتيجية أم تغيير تكتيكي)؟.**

ومن جهة أخرى فان **الفصل الرابع** والموسوم: **محتوى وتجليات التحولات التي شهدها التفكير الاستراتيجي للولايات المتحدة بعد 11 سبتمبر 2001**، فهو أكبر فصول الدراسة ويضم **خمسة مباحث**.

يتوقف **المبحث الاول** عند **معالم العقيدة العسكرية الأمريكية الجديدة بعد 11 أيلول/سبتمبر 2001**، والتي كات تراهن على خوض حروب غير نظامية.

اما **المبحث الثاني** فيتوقف عند التحول الخطير في التفكير الاستراتيجي الأمريكي عندما تم الانتقال **من استراتيجية الردع والاحتواء الى استراتيجية "الهجوم الوقائي"**.

أما **المبحث الثالث** فظهر تحت عنوان: **من النظرية الى الممارسة: اختبارات بالذخيرة الحية لـ "عقيدة بوش"**، في حين توقف **المبحث الرابع** عند مغزى الانتقال من استراتيجية الردع والاحتواء الى استراتيجية "الهجوم الوقائي".

ومن جهته كُرس **المبحث الخامس** للحديث عن قضايا اخرى ضمن **مطلبين**. المطلب **الاول** توقف عند بعض القضايا الاقتصادية ذات العلاقة. فنظرا لأن الاستراتيجية المعتمدة هي نتاج "التوافقات الكبرى" في اطار مكونات المجمع الصناعي – العسكري في الولايات المتحدة الامريكية وتعبيرا عنه وعن مصالحه الكبرى، فقد توقف هذا المطلب عند العلاقة بين **العقيدة العسكرية والموازنة السنوية** كتعبير عن التلاحم بين العسكر ورأس المال لضمان الهيمنة على العالم. ومن جهة أخرى فإنه ونظرا لأن **"السياسة هي التعبير المكثف عن الاقتصاد"** فقد كان من اللازم التوقف عند **التحولات الاستراتيجية على الجبهة الاقتصادية عبر فرض رؤية "جديدة" عالميا**، وهو ما عبر عنه (جورج دبليو بوش) في خطابه أمام "مؤتمر مونتيري" كـ "نموذج" يجب على الجميع تبنيه وإلا كانت "العصى لمن عصى"!.

ولا يمكن تكوين صورة شاملة ومتكاملة حول طبيعة التحولات التي شهدها التفكير الاستراتيجي للولايات المتحدة بعد 11 أيلول/سبتمبر 2001 دون التعرف على جملة الاجرات التي اتخذت على جبهة الامن القومي الداخلي في هذا البلد. ولهذا فقد ظهر **المطلب الثاني** حاملا عنوان: **تغيرات استراتيجية على جبهة الأمن القومي الداخلي ـ الطريق الى المكارثية أصبحت سالكة!**

كما لا يكفي الحديث بالعموميات بل لابد من الانتقال من المجرد الى الملموس حيث يجري "اختبار" الاستراتيجية الجديدة التي تعمدت بالنار لبحث مدى فاعليتها. وهنا ظهر **الفصل الخامس** تحت عنوان: **من المجرد الى الملموس: تمارين بالذخيرة الحيّة بعد 11 أيلول/سبتمبر 2001!**. وفي هذا الفصل جرى التوقف عند امثلة ملموسة لما حصل بالفعل في مناطق مختلفة من عالمنا المعاصر عبر **ستة** مباحث:

**اجتياح افغانستان؛ غزو واحتلال العراق** في 2003، **التواجد الامريكي في جنوب شرقي آسيا، التواجد الامريكي في امريكا اللاتينية، النشاط الاستراتيجي الأمريكي في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، التواجد الامريكي في افريقيا** ضمن الهندسة الامنية الأمريكية في هذه القارة الواعدة والقيمة لراسم استراتيجيات الهيمنة الأمريكية.

لم تكن مسارات التحولات في الاستراتيجية الكونية الامريكية الجديدة بعد أيلول/سبتمبر 2001 معبدة بالورود بل واجهتها "اشواك" عدة وعانت من مآزق مختلفة. وبالقدر الذي يخص العراق، وهو ماركزنا عليه في هذا العمل، فقد تم تكريس **الفصل السادس** الى بحث "**مأزق استراتيجية الاحتلال في العراق ومحاولات الخروج منه**" حيث عانت هذه الاستراتيجية من عدم القدرة على تقديم الحلول لمعالجة الأزمة المتعددة الصعد التي نجمت عن الاحتلال وعجزت عن التكييف مع الاوضاع الاقتصادية - الاجتماعية التي بدأ يعاني منها مشروعها "التحويلي"، وراهنت على الليبرالية الاقتصادية الجديدة وخطاب الخصخصة الرنان، ووجهت أصابع الاتهام إلى تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية وليس الى مشروع الولايات المتحدة ذاتها في العراق، وقالت إن نظام السوق الحرة الطليقة هو أفضل نظام اقتصادي يحقق الكفاءة في الإنتاج والعدالة في توزيع الدخل! ولكن النتائج الفعلية بينت خطل هذه المقاربة.

لقد تركز تحليل هذا المأزق البنيوي عند **خمسة** مستويات وتم معالجته ضمن خمسة مباحث:

- المستوى **النظري** (نظرية الفوضى البناءة)؛
- المستوى **السياسي** (تقرير بيكر – هاملتون)؛
- المستوى **الاستراتيجي** (الدرس الكيسنجري ومقاربة باراك اوباما)؛
- المستوى **العسكري** (من عقيدة "الصدمة والترويع" الى "عقيدة مكافحة التمرد" – استراتيجية "أفعى الأناكوندا"؛
- المستوى **الاقتصادي** – المشروع الاقتصادي لسلطة الاحتلال. في هذا المستوى حاولنا تفكيك "الخطاب البريمري – نسبة الى الحاكم المدني آنذاك بول بريمر" والكشف عن مراميه الحقيقية انطلاقا من قناعة راسخة اكدتها الاحداث اللاحقة بأنه هو من أسس عمليا لـ "نموذج" الخصخصة بطبعته النيوليبرالية في عراق ما بعد **2003** وأصبح "المعين الذي لا ينضب" لسدنة "خيار الخصخصة" الذي تنهل منه كل "خطابات" الخصخصة و "الاصلاحات الاقتصادية" في العراق بعد **2003** رغم الفقر الفكري والمعرفي لخطاب بريمر هذا.

إن هذه الاستراتيجية لم تبق حبيسة الغرف المغلقة بل تم تطبيقها بقوة النار ومكر الآيديولوجيا؛ وأحدثت جملة من التفاعلات، وتركت آثارا ملموسة وممانعات متنوعة. وتجلى ذلك بالملموس عبر اندلاع الانتفاضات الشعبية في عدد من البلدان العربية ما ورافقها من سقوط انظمة عديدة منها، الأمر الذي أدى الى "اختلالات استراتيجية" مؤقتة في ميزان القوى الاقليمي. ولفهم ما جرى ومعرفة آثاره الملموسة تم تكريس **الفصل السابع** للاجابة على سؤال استراتيجي وهو: **ما هي انعكاسات الانتفاضات الشعبية على الاستراتيجية الاقليمية للولايات المتحدة الامريكية**. ولافتكاك هذه الاشكالية توقف الفصل – وعبر **أربعة** مباحث - عند **المظاهر والسمات الاساسية الممهدة للانتفاضات الشعبية** التي اندلعت في العديد من البلدان العربية (المبحث **الأول**)، ثم جرت محاولة تقديم قراءة اقتصادية – سياسية لهذه الانتفاضات (المبحث **الثاني** وعبر **مطلبين**)، وتأثير الأزمة الاقتصادية العالمية على احتدام الصراعات الاجتماعية المحلية (المبحث **الثالث**)، واختتم الفصل بالتوقف عند السياسة الامريكية تجاه ما جرى ومحاولاتها الحثيثة

لاحتواء الحراك الاجتماعي والانتفاضات الشعبية بهدف اعادة إنتاج الانظمة بطبعة جديدة (المبحث **الرابع**).

لم تكتف الدراسة بتحليل ما جرى بل سعت، في الختام، الى القيام بتركيب للمشهد الاستراتيجي حيث تم فرز فصل مستقل هنا هو **الفصل الثامن** والأخير والموسوم: **من التحليل الى التركيب. جوهر المشكلة – بناء "نظام عالمي جديد" بقوة المدافع والبوارج الحربية لتعزيز الهيمنة الأمريكية**. وفي هذا الفصل تم التوقف عند القضايا التالية:

- النظام الدولي: مفهومه وتطوره (المبحث **الأول**)؛
- " النظام العالمي الجديد "- المبادئ ...الأهداف.. اللاعبون (المبحث **الثاني**)؛
- من المجرد الى الملموس: "عاصفة الصحراء" (المبحث **الثالث**)؛
- معالم تقسيم عالمي جديد للعمل يفرض بقوة المدفع ! (المبحث **الرابع**- ضمن مطلبين)؛
- نتائج الحرب – حسابات الحقل لا تطابق حسابات البيدر! (المبحث الخامس).